البعثات التعليمية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين

د. يوسف احمد محمد العجلاني

الملخص:

كان للبعثات التعليمية بأشكالها المختلفة دورا بارزا في كافة القرى والأمصار التي انطلقت إليها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقدم هذا الدين وتنشر تعاليمه، أو ممن استقبلهم كبعثات قادمة تتزود بالعلم وتعود حامله له إلى ديارها لتنشره بين ربوعها حاملة فكرة الإسلام وروحه وتشريعاته . كما أسهمت في بزوغ مدرستي الكوفة والبصرة في اللغة وغيرها . وتعد البعثات التعلميه في عصرنا الحاضر ضروره فرضتها التغيرات المتسارعه في ميادين العلم المختلفة وحاجة البلدان النامية في سعيها للحصول على العلوم والمعارف كما اصبحت وسيلة مهمة لنقل ثقافة الامم والشعوب والتقارب بين الامم. وتهدف هذه الدراسة إلى بيان مفهوم البعثات التعليمية في اللغه والاصطلاح، وأهم أهداف البعثات التعليمية، وأهم التوجيهات النبوية للبعثات التعليمية، ومعرفة أهم المبادئ والأساليب التربوية التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم مع طلبة العلم، وطرح أمثلة لمن قام بالبعثات التعليمية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين . واتبعت المنهج الوصفي التاريخي، وقد تم تحقيق تلك الأهداف، واكتفي الباحث بطرح مثال في عهد النبي ومثال واحد في عهد الخلفاء الراشدين .

الكلمات المفتاحية للبحث : البعثات التعليمية - عهد الرسول صلى الله عليه وسلم - عهد الخلفاء الراشدين .

مقدمة

إذا كانت الرحلة في طلب العلم قديمة الأصول التاريخية ، فلقد ارتحل الإنسان عبر تاريخ الحياة الطويل من مكان إلى مكان، ومن بلد الى بلد فكانت تلك الرحلات بمثابة الزاد الذي يعطي القدرة للإنسان على الحياة والاستمرار فيها إذ انه حصل عبر ترحاله على العديد من الفوائد يأتي في مقدمتها حصول العلم والمعرفة ، عبر معرفة البلدان وتضاريسها ومناخاها ونباتاتها وغير ذلك من أنواع المعارف والعلوم ، فان البعثات العلمية والتعليمية تعد شكلا آخر من أشكال طلب العلم والمعرفة وأسلوبا من أساليب نقله إلى الأفراد والمجتمع والأمم الأخرى سواء ما كان

منها فرديا أو جماعيا، ولقد عرفت التربية الإسلامية هذا النوع من البعثات العلمية منذ وقت مبكر .

فلقد ظهرت أولى تلك البعثات قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ولعل مصعب بن عمير رضي الله عنه يمثل أولى البعثات التعليمية إلى المدينة ليحدث بها من الآثار الايجابية ما أحدث تحولا كبيرا في تغيير معتقد أكثر سكان المدينة المنورة ناشرا الدين الإسلامي بأسلوب حواري عقلي رائع مما مكن الإسلام من الظهور في مجتمع جديد، وهيأ عقولا وقلوبا صاغ تفكيرها صياغة إيمانيه جعلها تستقبل رسول الهدى بكل الحب والترحاب وتدافع عن الدين بكل ما أوتيت من قوة، وهكذا كان للبعثات التعليمية بأشكالها المختلفة دورا بارزا في كافة القرى والأمصار التي انطلقت إليها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقدم هذا الدين وتنشر تعاليمه، أو ممن استقبلهم كبعثات قادمة تتزود بالعلم وتعود حامله له إلى ديارها لتنشره بين ربوعها حاملة فكرة الإسلام وروحه وتشريعاته .

واستمر هذا الحال في البعثات حتى عصر الخلفاء الراشدين، وقد أسهمت هذه البعثات إسهاما كبيرا في نشر العلم، وزيادة عدد القراء وظهور المدارس الفقهية التي عرفت فيما بعد . كما أسهمت في بزوغ مدرستي الكوفة والبصرة في اللغة وغيرها . وتعد البعثات التعلمية في عصرنا الحاضر ضرورة فرضتها التغيرات المتسارعة في ميادين العلم المختلفة وحاجة البلدان النامية في سعيها للحصول على العلوم والمعارف كما أصبحت وسيلة مهمة لنقل ثقافة الأمم والشعوب والتقارب بين الأمم.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية دراسة موضوع البعثات التعليمية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من أهمية الموضوع ذاته . إذ إن البعثات التعليمية لعبت دورا مميزا في حركة التعليم والمتعلم في هذين العهدين، كما أسهمت إسهاما كبيرا في بروز جيل من المربين الذين قامت على كواهلهم أعباء التعليم والتربية .

إضافة إلى أن البعثات العلمية أسهمت في انتقال عدد من طلبة العلم إلى أماكن العلم ومراكزه فنهلوا من ينابيعه الصافية وعادوا حملة علم ومعرفة.

ونظهر أيضا أهمية دراسة البعثات العلمية فيما يلي :

١- تأصيل مفهوم البعثات العلمية إذ أن لها جذور تاريخيه في التربية الإسلامية تعود إلى العصر النبوي والخلافة الراشدة

٢- بيان الدور الريادي الذي قامت به البعثات العلمية في انتشار التعليم في العهد النبوي والخلفاء الراشدين في مجتمع كان من يقرأ ويكتب فيهم لا يكاد يذكر لقلتهم .

٣- بيان المبادئ والأساليب التربوية التي استعملها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم للتعليم والدعوة، وأهمية تلك المبادئ والأساليب في التربية والتعليم وإمكانية الاستفادة منها في واقعنا التعليمي المعاصر .

٤- بيان أهم المعايير والشروط الواجب توافرها في المبتعث للتعليم والموفد للتعلم في ضوء نصوص السنة لمن بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو من أرسلوا في عهد الخلفاء الراشدين .

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى :

١- معرفة مفهوم البعثات التعليمية في اللغة والاصطلاح .

٢- بيان أهم أهداف البعثات التعليمية .

٣- بيان أهم التوجيهات النبوية للبعثات التعليمية .

٤- معرفة أهم المبادئ والأساليب التربوية التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم مع طلبة العلم .

٥- طرح أمثلة لمن قام بالبعثات التعليمية في عهد النبي والخلفاء الراشدين .

تساؤلات الدراسة

١- ما مفهوم البعثات التعليمية ؟

٢- ما أهم أهداف البعثات التعليمية ؟

٣- ما أهم التوجيهات النبوية للبعثات التعليمية ؟

٤- ما أهم المبادئ والأساليب التربوية التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم مع البعثات التعليمية ؟

٥- ما أمثلة البعثات التعليمية في عهد النبي والخلفاء الراشدين ؟

حدود الدراسة

يكتفي الباحث بطرح مثالا في عهد النبي ومثالا واحدا في عهد الخلفاء الراشدين منهج الدراسة :استخدم الباحث المنهج الوصفي التاريخي وهو المنهج الذي "يعتمد على دراسة الواقع او الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفا دقيقا ويعبر عنها تعبيرا كيفيا او تعبيرا كميا" (عبيدات ١٤١٦هـ ص ٢١٩) .

الدراسات السابقة

في حدود علم الباحث لم يجد دراسة علميه تتناول مفهوم البعثات العلمية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين وكل ما وقع تحت يديه ما تناثر عن الرحلات في طلب الحديث طلبا لعلو السند أو التأكد من صحة الحديث .

البعثات التعليمية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين .

أولا : مفهوم البعثات في اللغة والاصطلاح .

ثانيا : البعثات التعليمية في القران الكريم والسنة النبوية .

ثالثا :أهداف البعثات التعليمية .

رابعا: الوسائل والتوجيهات النبوية للبعثات التعليمية .

خامسا: نماذج من البعثات التعليمية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

١- مصعب بن عمير .

سادسا : نماذج من البعثات في عهد الخلفاء الراشدين .

١- عبد الله بن مسعود .

أولا : مفهوم البعثات التعليمية في اللغة والاصطلاح

البعثة في اللغه

البعثة في اللغه اصلها مصدر للفعل الثلاثي بعث. ومصدرها الحقيقي سماعي عند الصرفيين بعثا.. وفعلها متعد وجاء عند (ابن منظور،١٤١٧هـ). مادة (بعث). : بعثه يبعثه بعثاً : أرسله وحده، وبعث به : أرسله مع غيره ، وفي حديث علي يصف النبي صلى الله عليه وسلم : شهيدك يوم الدين ويبعثك نعمة، أي مبعوثك الذي بعثته الى الخلق أي ارسلته و(انبعث) فلان أي سار ومضى لقضاء حاجته . ويقال (ابتعثنا). الشام عيرا اذا ارسلو اليها ركبانا للميره ، والبعث أيضا بعث الجند الى الغزو وبعث البعير فانبعث : حل عقاله فأرسله او كان باركاً فهاجه . وفي حديث حذيفه : إن للفتنه بعثات ووقفات ، فمن يستطيع ان يموت في وقفاتها فليفعل .

بعثات : إثارات وتهييجات ، جمع بعثه ، وهي كل شئ اثرته فقد بعثته ، ومنه حديث عائشة : فبعثنا البعير فإذا العقد تحته . (ج٢،ص١١٦ ،ص١١٧). وجاء عند(الرازي بدت). مادة(بعث) .

بعثه وابتعثه : بمعنى ارسله وانبعث ، وبعثه من منامه أي أيقظه . كما أشار(مجمع اللغه العربيه دت) . إلى ان (البعثه) : هيئه ترسل في عمل معين مؤقت منها بعثه سياسيه ، او بعثه دراسيه (ص٦٢).

البعثة التعليمية في تعريف الباحث :

إرسال شخص موثوق به وفي علمه أو عدة أشخاص الى بلد معين بغية تعليم الناس امرا معيناً ، او إرسال طالب علم قد يجهله من أرسل يجده في ذلك البلد المرسل إليه ، وقد تكون باستقبال فرد أو عدة افراد من اماكن مختلفة لحصولهم على ما يحتاجونه من علم .

ثانيا :البعثات التعلمية في القران والسنة النبويه

جاءت مفردة البعثة أو بما في معناها من بعث او بعثني في القران الكريم كما جاءت في السنه النبوية . فقد جاءت مفردة البعثة في القران الكريم في مواضع

بلفظها الصريح ، ولقد جاءت مقترنة بالعلم والحكمة والتزكية وتلاوة آيات الله تعالى لتكون البعثة مخرجة من الضلال بأنواعه

قال تعالى :[هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين] (سورة الجمعة:٢) وهكذا كانت بعثة المصطفى تزكية للنفوس البشرية، وتطهيرا عاما لحياة الإنسان يقول: (قطب١٤٠٦هـ) ((ويزكيهم وإنها لتزكيه وإنها لتطهير. وتطهير للضمير والعور ، وتطهير للعمل والسلوك، وتطهير للحياة الزوجية، وتطهير للحياة الاجتماعية تطهير ترتفع به النفوس . وإنها تزكية شاملة للفرد والجماعة والحياة والسريرة وحياة الواقع ، تزكية ترتفع بالإنسان وتصوراته عن الحياة كلها)) (ج٦، ص٣٥٦٥) .

وفي السنة النبوية جاءت كلمة البعثة في العديد من الأحاديث الشريفة في سياق ابتعاث الرسول صلى الله عليه وسلم العديد من الصحابة الكرام إلى مواقع ومناطق مختلفة سيأتي الحديث عنها عندما نتحدث عن نماذج من البعثات التعليمية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والشواهد على ذلك كثيرة والأحاديث في هذا الجانب عديدة اقترنت بالعلم والتعليم ونشر الدين والفقه وكل جوانب الحياة .

ثالثا : أهداف البعثات التعليمة

لم يكن للبعثات التعليمية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين هدف وحيد يتجلى في نشر العلم فقط . بل تعددت الأهداف المرجوة من وراء تلك البعثات إلى أهداف أخرى نبيلة وغايات عظيمه منها ما يتعلق بنشر الدين الإسلامي وبيان قيمه ومنها ما يتعلق بنشر أحكام الشرع في القضايا الإنسانية عن طريق البعثات التعليمية سواء ما كان منها قادما إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو ما كان مغادرا إلى القرى والهجر والأمصار المختلفة ومن ابرز تلك الأهداف ما يلي :

١- تقديم الفكرة الإسلامية لمن لا يستطيع الاتصال بها ، أو الاستماع إليها لان المعارضة المشركة حاولت بكل ما تملك من قوه ، وبكل جهد يمكنها عمله لصد الناس عن الاتصال المباشر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حاولت بشتى الوسائل تشويه حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بما تنشره من أكاذيب بأنه ساحر أو كاهن أو شاعر أو غير ذلك فأرسل الوفود كوسيلة من وسائل التبليغ والأعلام لهذا الدين ، فنقلت تلك البعثات فرديه كانت أم جماعية التصور الصحيح عن الإسلام وما يحمله من قيم سامية ومبادئ راقيه وأخلاقيات عظيمه من خلال ما لمسوه وعاشوه بأنفسهم من صدق التعامل وسمو الروح والإيثار وكل ما تنطوي عليه فكرة الإسلام

٢- أخبار قريش التي مثلت جانب المعارضه بطريق غير مباشر إنها وان أبت قبول هذا الدين ، ودعوة الإسلام لعوامل شخصيه من قبل البعض من اجل الحفاظ على زعامات واهيه ، وتقاليد فاسده ، ظنا منها ان إتباعها لهذا الدين سيسحب بساط الزعامة من تحت أقدامها وسيحولها إلى تابع وهذا التصور الخاطئ ربما كان احد أسباب تأخر العديد من زعمائهم في دخول الإسلام . إلا أن البعثات التعليمية كانت رسالة موجهه إلى قريش إن هي أبت فإن غيرها قد يكون أسرع قبولا وأسهل اقتناعاً .

٣- قيام تلك البعثات والوفود التعليمية بتحقيق عملي لإنسانية الإسلام وقابليته للتمدد والاتساع الإنساني (الهاشمي ١٤٠٥هـ :صـ٣٤١ :صـ٣٤٢) وإعطاء المثال الحي انه دين واقعي يتعامل مع الإنسان ويمكن تطبيقه في مختلف حالات الإنسان وليس صورة خياليه بعيده عن إمكانية التحقيق . مما سهل دخول الناس إلى هذا الدين

٤- ترسيخ مبادئ وقواعد هذا الدين في البلدان التي تم فتحها ، أو دخول أهلها للإسلام ، وحاجتهم إلى من يعلمهم أمور دينهم ، مثال ذلك : طلب أهل نجران من يفقههم في الدين ، فأرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو عبيده .

٥- حاجة المدن وحواضر البلدان المفتوحة إلى ولاة ومعلمين يقيمون فيها شعائر الدين والدعوة إلى الله فكانت البعثات التعليمية في عهد الخلفاء الراشدين لذلك الغرض ، وقد ظهر ذلك في طلب يزيد بن ابي سفيان من عمر بن الخطاب رضي الله عنه إرسال مجموعه من الصحابة ليفقهوا أبناء الصحابة من اهل الشام نتيجة كثرتهم .

٦- ظهور جيل جديد من أبناء الصحابة في البلدان التي استقروا فيها كالعراق والشام وغيرها ، وحاجة تلك البلدان الى معلمين من كبار الصحابة لتعليم هذا الجيل الجديد ، فكانت البعثات التعليمية التي سيرها عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما بعث معاذ بن جبل وابو الدر داء وعبادة بن الصامت إلى الشام (ابن سعد ، د.ت ، ج٢ ، صـ٣٥٦) . وابو موسى الاشعري وعبدالله بن مسعود إلى الكوفة ، وعمران بن الحصين إلى البصرة (ابن سعد ، د.ت ج٢ صـ١٠) .

رابعا : الوسائل والتوجيهات النبوية للبعثات التعليمية

يظهر من خلال تتبع رحلات الوفود التي قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أكثرهم عاد إلى قومه واعتبروا في إعداد المبعوثين إلى قومهم حاملين امانه التبليغ لمن ورائهم . إلا انه مع ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث من لديه رسلا إلى القبائل القريبة والنائية بدعوتهم إلى الإسلام، ويعلمونهم إحكام الدين، وربما بعثت القبيلة من القبائل إليه صلى الله عليه وسلم تطلب أن يبعث إليها من يعلمها ويفقهها ويقضي بينها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستجيب لهذا المطلب مزودا إياهم بالنصائح التربوية القيمة ذات الأثر البالغ في حسن أدائهم لمهمتهم وتمام قيامهم برسالتهم (البر ، ١٤٢٠هـ صـ١٢٨) ولقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك البعثات بالعديد من التوجيهات النبوية والوسائل المعينة لهم على النجاح في مهامهم .ومن أهم تلك التوجيهات والأساليب التربوية التي استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مبعوثيه ما يلي :

١- الأمر بالتيسير وترك التعسير

فقد حرص عليه الصلاة والسلام على توجيههم إلى أول أصول الدعوة والتعليم والرفق والتيسير ،" فعن أبي بردة عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن قال " يسرا ولا تعسرا ، وبشرا لا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا (البخاري،١٤١٧هـ ، كتاب للغازي ، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن ، صـ٨٩٣ ، الحديث رقم ٤٣٤٤) .

والتيسير مفتاح للقلوب الغليظة، وسبيل جيد لكسب الأفئدة إلى الحق وإرشادها إليه وطريق لاستمالتها إلى الهدى .

٢- الأمر بالتدرج في الدعوة :

إن التدرج في الدعوة وترتيب الأولويات وحسن يراعة الاستهلال من أهم أسباب نجاح الداعية لذلك يظهر حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على توجيه مبعوثيه إلى مراعاة ذلك والاهتمام به . " فعن إبن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، بعث معاذ رضي الله عنه إلى اليمن فقال : " ادعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا ذلك فأعلمهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم (البخاري، ١٤١٧هـ ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، صـ٢٧٦ ، حديث رقم ١٣٩٥).

٣- البعد عن الظلم :

من المعلوم ان العدل تستقيم به الحياة، وتهنأ به النفوس وتتآلف في ظله القلوب، ولذلك كان حرص النبي صلى الله عليه وسلم عظيما بهذا الجانب، كما حرص فيه على التأكيد على مبعوثيه بذلك وقد أورد البخاري الحديث السابق في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على الفقراء حيث زاد فيه " واتق دعوة المظلوم فأنه ليس بينها وبين الله حجاب (البخاري، ١٤١٧هـ ، الزكاة صـ ٢٩٨ ، حديث رقم ١٤٩٦) علاوة على مايحدثه الظلم في نفوس المتعلمين من تنافر وتحاسد، والشعور بالغبن لاحساسهم بعدم عدالة المربي وامكانية ضياع حقوقهم.

٤- الدعاء للمبعوثين بالتسديد والتأييد :

وفي هذا المبدأ تثبيت لقلب المبعوث وتشجيع له بحصول دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيه تطمين لنفس المبعوث. " فعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال :" بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضيا ، فقلت يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء ؟ فقال : " إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء " ، قال : فمازلت قاضياً او ما شككت في قضاء بعد (ابن سعد ، د.ت ، ج٢ ، صـ٣٣٧) .

٥- اختيار المبعوث المناسب لكل قوم :

إن اختيار المبعوث المناسب للقوم المبعوث إليهم دل على عظيم حكمته صلى الله عليه وسلم ، بحيث اختار الشخص المعروف لديهم، المقبول قوله ونصحه لهم، لذا كان اختيار ابا موسى الأشعري رضي الله عنه لليمن لأنه منهم عارفا بهم مدركا لطريقة التعامل معهم كما اختار لباهلة الصحابي الجليل أبا إمامه الصدى بن عجلان الباهلي رضي الله عنه ، عن أبي إمامة قال : " بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوم فانتهيت إليهم وأنا طاوٍ ، وهم يأكلون الدم فقالوا: هلم قلت : إني جئت انهاكم عن هذا فتمت وأنا مغلوب فأتاني آت بإناء فيه شراب ، فأخذته ، وشربته فكظني بطني ، فشبعت ورويت ، ثم قال لهم رجل منهم : أتاكم رجل من سراة قومكم ، فلم تتحفوه ، فأتوني بلبن ، فقلت : لا حاجة لي به وأريتهم بطني ، فأسلموا عن آخرهم ، رواه البيهقي في الدلائل وزاد فيه ، إنه أرسله إلى قومه بأهله " (ابن حجر، ١٣٩٩هـ ، ج٥ ، صـ١٣٤) .

٦- اختبار كفاءة المبعوث والاطمئنان على سلامة منهجه :

إن من دلائل عظيم حكمته صلى الله عليه وسلم أنه يختار الشخص المناسب للقوم المرسل إليهم ومع ذلك فقد كان صلى الله عليه وسلم يختبر كفاءة بعض من يرسلهم وذلك للاطمئنان على سلامة منهجهم وجودة ادائهم ، ليكشف ذكاء

مبعوثه وحسن معرفته فإن أجاد شجعه ، واثنى عليه (البر ، ١٤٢٠هـ ، صـ١٣١). فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : لما بعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال:" كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ " قال : اقضي بكتاب الله قال : فإن لم تجد؟"، قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في كتاب الله ؟ ، قال : اجتهد في رايي ، ولا آلو ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال : الحمدلله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله " . (ابو داود ، د. ت ، كتاب الاقضية ، باب اجتهاد الراي في القضاء ، حديث رقم ٣١١٩) . وهنا على الجهات المشرفه على الابتعاث في جميع البلدان الاسلامية تعلمية وتربوية او جهات اخرى ان تستفيد من تلك التوجيهات النبوية والارشادات التربوية للمبتعثين الى خارج البلاد الاسلامية في شتى مجالات العلم والتعليم وترسيخها في اذهان مبتعثيها لأهمية تلك الوسائل والتوجيهات النبوية الكريمة لتكون نبراسا يضئ حياة المبتعث المسلم الى اي جهة كانت متحصا بثقافته الاسلامية الاصيلة قادرا على الصمود اما التيارات الفكرية المختلفه لامتلاكه القدره والثقافه الكافئه والتحصين الديني والخلقي لمواجهة كل معوقات الحياة التي تواجهه

خامسا : نماذج من البعثات التعليمية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين

حين بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته إلى الله تعالى ، ليكون الدين خالصا لله وحده ، اعترض طريقه جبابرة قريش وصناديدها ، استكبارا عن الحق وتمسكا بموروثات باطله مخافة ضياع زعامتهم وانهيار مكانتهم الاجتماعيه . وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته سرا في بداية الأمر وعرض نفسه على القبائل علها تسمع وتجيب ، وهكذا من مرحلة لأخرى بدا هذا الدين يدخل فيه من هدى الله قلبه وتقاطرت الوفود الفردية الباحثة عن الحق .

لقد كانت دار الأرقم بن ابي الأرقم في هذه المرحلة تحتل مكانا متميزا في تاريخ الدعوة . فقد كانت حاضنة لاجتماع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من

يدخل في دين الله . بل كانت بمثابة المدرسة الإسلامية الأولى أو قل الجامعة الأولى أو الأكاديمية الأولى التي اهلت اوائل من اسلم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبدات فيها البعثات التعليمية والعلمية على كل الصور المختلفة للبعثات . وقد كانت تؤدي دورا رئيسيا في إيصال كل ما ينزل من الوحي لمن آمن ولا يستطيع الوصول إليها كالنساء وغيرهم .

ولعل حادثة خباب بن الأرت خير مثال لذلك . وعندما زاد عدد المسلمين وبدا يظهر أمره انطلقت البعثات على اشكال مختلفة . ولقد اتخذت العديد من الاشكال على النحو التالي :

١- من حيث العدد انقسمت إلى :
- بعثات فردية .
- بعثات جماعية .

٢- من حيث صاحب قرار البعثة :
- ابتعاث من قبل النبي صلى الله عليه وسلم .
- ابتعاث من قبل الخلفاء الراشدين .
- ابتعاث من قبل القبيلة إلى النبي لبعض الأفراد .
- ابتعاث من قبل الفرد نفسه طالبا للعلم .

٣- من حيث مكان الابتعاث :
- بعثات قادمة إلى مقر الدولة الإسلامية .
- بعثات مغادرة إلى الأقاليم والهجر والقرى .

وهكذا نجد أن البعثات التعليمية قد اتخذت أشكالا متعدده وقد جاءت في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرته العطره مايؤكد ذلك . فمن أمثلة البعثات القادمة إلى مركز الدعوة وهي في نفس الوقت بعثة جماعية جاءت طالبة للعلم ((حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا عبد الوهاب قال: حدثنا أيوب عن أبي قلابة قال: حدثنا مالك : أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شبيبة متقاربون فأقمنا عنده عشرين يوما وليلة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

رحيما رفيقا فلما ظن انا قد اشتهينا اهلنا او قد اشتقنا سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه قال: ارجعوا إلى اهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم وذكر أشياء أحفظها ولا أحفظها وصلوا كما رايتموني أصلي فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم احدكم وليؤمكم أكبركم)) (البخاري ، ١٤١٧هـ ، كتاب الأذان ، حديث رقم ٥٩٥) .

ومن البعثات الفردية المغادرة إلى القرى والهجر بعثة علي بن ابي طالب من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ((فعن حارثة عن علي قال: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقلت: يا رسول الله إلى قوم شيوخ ذوي أسنان وإني اخاف ان لا أصيب قال: إن الله سيثبت لسانك ويهدي قلبك)) (ابن سعد ، د.ت ،ج، صـ٣٣٧)

وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن حزم من بني مالك على نجران وهم الحارث بن كعب وهو ابن سبع عشرة سنة ، ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن ويأخذ صدقاتهم وذلك سنة عشر بعد أن بعث إليهم خالد بن الوليد وكتب له كتابا فيه الفرائض والسنن والصدقات والديات وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب (الخزاعي ، ١٤١٩هـ ، صـ٩٢) وهو ممن بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قوم ، قال: فانتهيت إليهم وانا طاو ، وهم يأكلون الدم فقالو هلم ، قلت إني جئت انهاكم عن هذا ، فنمت وانا مغلوب فأتاني آت بإناء فيه شراب ، فأخذته وشربته فكظني بطني ، فشبعت ورويت . ثم قال لهم رجل منهم : اتاكم رجل من سراة قومكم، هلم تحتفوه ، فأتوني بلبن ، فقلت : لاحاجة لي به واريتهم بطني ، فأسلموا عن آخرهم ، (ابن حجر ، ١٣٩٩هـ ، ج٥ ، صـ١٣٤) . وتتعدد البعثات التعليمية وتتنوع صورها وهذه صورة اخرى لمن بعث بناء على طلب من المبتعث اليهم ولذا نجد ان ممن بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للتعليم امين الأمة إلى اليمن ((فعن انس بن مالك ان اهل اليمن لما قدمو على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سألوه ان يبعث معهم رجلا يعلمهم السنة والإسلام ، قال فأخذ بيد ابي عبيدة بن الجراح فقال : هذا امين هذه الأمة)) (ابن سعد ، د.ت ، ج٣ ، صـ٤١١)

ومن صور البعثات التعليمية ماكان بناء على امر القيادة بارسال المبتعث الى جهة الاحتياج فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن ((فعن

ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضي الله عنه على اليمن قال: إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ماتدعوهم إليه عبادة الله)) (البخاري ، كتاب الزكاة ، ١٤١٧هـ ، حديث رقم ١٤٥٨ ، صـ ٢٨٩) . ومظهر اخرى لاشكال البعثات وصورها يتجلى ذلك في البعثات الجماعية الى من هم في حاجة ماسة الى اكثر من مبتعث فقد بعث رسول الله سبعين رجلا من القراء إلى اناس طلبوا من يعلمهم وكانوا من الأنصار (البخاري ، ١٤١٧هـ ، كتاب الوتر ، حديث رقم ١٠٠٢ ، صـ١٩٧)

وتستمر صور البعثات بانواعها واشكالها المختلفة في عهد صحابة رسول الله وممن بعث في عهد الخلافه الراشدة العديد من الصحابة رضي الله عنهم إلى الأمصار المختلفة للتعليم ونشر الدين والفقه وممن بعثهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابو موسى الأشعري رضي الله عنه ((عن الحسن قال : بعث عمر بن الخطاب إلى ابي موسى الأشعري وهو بالشام . فقدم ، فلما قدم عليه قال إني إنما بعثت إليك لخير ، لتؤثر حاجتي على حاجتك ، قال أما حاجتك فالجهاد في سبيل الله ، وأما حاجتي فابعثك إلى البصرة ، فتعلمهم كتاب ربهم وسنة نبيهم وتجاهد بهم عدوهم، وتقسم بينهم فيئهم)) (ابن عساكر ، د.ت ج ٣٢ ، صـ٦٧) . كما بعث عمر بن الخطاب عمران بن الحصين إلى البصرة ((فعن أبي الاسود الدؤلي قال : قدمت إلى البصرة وبها عمران بن الحصين أبو النجيد وكان عمر بن الخطاب بعثه يفقه اهل البصرة)) (ابن سعد، د.ت ، ج٧ ، صـ١٠) . وممن بعثهم عمر بن الخطاب إلى الشام ابو الدرداء فقد((روى الليث بن سعد عن فلان قال : رأيت أبا الدرداء دخل المسجد ومعه من الأتباع مثل ما يكون مع السلطان وهم يسألونه عن العلم)) (الذهبي ، د.ت ، صـ٢٥).

كما بعث إلى أهل الكوفة عمارا اميرا وعبدا لله بن عباس معلما ووزيرا . واستمر عبدا لله في بعثته وتعليمه ونشره للعلم حتى خلافة علي بن ابي طالب ، فقد ذكر بعض قول عبدا لله في مجلس علي وأثنى القوم عليه (ابن سعد ، د.ت ، ج٣ ، صـ١٥٦) . وقد بعث عمر بن الخطاب ثلاثة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى الشام بعد أن كتب إليه يزيد بن أبي سفيان أن اهل الشام قد كثروا وملؤوا المدائن واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم .. فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء فقال عمر ابدؤوا بحمص فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة . منهم من يلقن فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد ويخرج واحد إلى دمشق والآخر إلى فلسطين ، وقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة وخرج أبو الدرداء إلى دمشق ومعاذ إلى فلسطين فمات بها ، (ابن سعد ، د.ت ، ج٢ ، ص٣٥٦ ، ص٣٥٧) . وهكذا نجد البعثات التعليمية انتشرت في كافة الأمصار والأقطار التي فتحت أو دخلها الإسلام أو تكاثر بها أبناء المسلمين وقد حملت هذه البعثات لواء العلم والدين وأسست لمنهج إسلامي تربوي متميز كان من ثماره نهضة إسلامية عالمية . ومن الأمثلة العديدة والنماذج الفريدة للبعثات التعليمية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين يكتفى بأخذ نموذج واحد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونموذج واحد في عهد الخلافة الراشدة . وهذا ليس نقصاً في بقية النماذج ولا قلة في الأمثلة وإنما ما يحدده مسار البحث في هذه الدراسة .

البعثات التعليمية في عهد رسول الله وخلفائه الراشدين

١- في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

النموذج الذي أختير في هذا العهد الصحابي الجليل مصعب بن عمير على الرغم من كثرة من ابتعثهم صلى الله عليه وسلم من صحابته الكرام وكانوا مشاعل ضياء ومصابيح نور وهداية ولكن مصعب تظل له اولوية الابتعاث.

مصعب بن عمير :

١/١- اسمه ونسبه:

هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي (الخزاعي، ١٤١٩هـ ، ص ٨٢) . يكنى أبا محمد وكان له من الولد ابنته يقال لها زينب (ابن سعد ، د.ت ، ج٣، ص١١٦)

ويكنى أبا عبدالله وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم ومن السابقين الأولين للإسلام (ابن الأثير ، ١٤٠٩هـ ، ج٣ ، ص٤٠٥)

٢/١- قصة إسلامه :

كان مصعب بن عمير فتى مكة شباباً وجمالاً وكان أبواه يحبانه ، وكانت أمه مليئة كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب ، وأرقه ، وكان أعطر أهل مكة ، يلبس الحضرمي من النعال ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره ويقول : ما رأيت بمكة أحداً أحسن لمسة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير ، وبلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، فدخل عليه فأسلم وصدق به ، وخرج فكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه ، فكان يختلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به عثمان بن طلحة يصلي فأخبر أمه وقومه ، فأخذوه فحبسوه فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا ، فرجع متغير الحال قد حرج ، يعني غلظ ، فكفت أمه عنه من العذل (ابن سعد ، د.ت ، ج٣ ، ص١١٦) .

٣/١- بعثة مصعب بن عمير إلى المدينة :

حرص المصطفى صلى الله عليه وسلم على إرسال المبعوث المناسب لكل قوم ، ومن عظيم حكمته وصواب رأيه ما قام به من بعث مصعب بن عمير إلى المدينة بعد بيعة العقبة الأولى .

فعن يزيد بن أبي حبيب قال : لما انصرف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني ليلة العقبة الأولى وبعث معهم مصعب بن عمير .(ابن الأثير ، ١٤٠٩هـ ، ج٣ ، ص٤٠٥) . ويذكر (ابن هشام ،١٤١٦هـ) قصة إرسال مصعب بن عمير إلى المدينة من حديث عبادة بن الصامت أنه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتهم بحده في الدنيا فهو كفارة ، وإن سترتم عليه في الدنيا إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل : إن شاء عذّب وإن شاء غفر . قال ابن إسحاق : فلما إنصرف عنه القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير ... وأمره أن يقراهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ،

ويفقههم في الدين فكان يسمى المقرئ في المدينة : مصعب وكان منزله على أسعد بن زراره (ج٢ ، ص٤٣) . وقال قتادة : " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه يبعثه إليهم " (ابن كثير ، ١٤١٩هـ ، ج٢ ، ص٥٢٦) . وقد أكد ذلك (ابن سعد ، د.ت) بقوله : " لما إنصرف أهل العقبة الأولى الإثنا عشر وفشا الإسلام في دور الأنصار ، أرسلت الأنصار رجلاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتبت إليه كتاباً ، إبعث إلينا رجلاً يفقهنا في الدين ويقرئنا القرآن ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير " (ج٣ ، ص١١٨)

٤/١- أسلوب مصعب بن عمير الدعوي :

حين خرج مصعب بن عمير مع وفد الأنصار وحل بينهم في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان منزله على أسعد بن زراره ، وصل إلى المدينة حاملاً مسئولية ضخمة ، مسئولية الدعوة إلى دين الله، وإصلاح مجتمع ومجاهدة عقائد فاسدة توارثتها الأجيال، وتهيئة بيئة جديدة تشع بنور الإيمان، وتستجيب لدواعي الخير، إن منهج مصعب بن عمير قام على عدة أمور منها:

أ- الدعوة الجادة المخلصة حال وصوله إلى المدينة .

ب- الأسلوب الحسن في الدعوة .

ج- الصبر على الأذى وتحمل المسئولية .

د- الإحساس بالمسئولية كونه حمل ثقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هـ- استغلال كل لحظة و مناسبة لتبليغ الدعوة .

و- استخدام القرآن الكريم في توضيح مفاهيم العقيدة ، والدعوة إلى دين الله تعالى .

ز- تهيئة مقر لإقامة الداعية حيث أمن ذلك نزوله على أسعد بن زرارة .

ح- استغلال مكانة ومنزلة أسعد بن زرارة بين الأنصار حيث كان رضي الله عنهما ، قدوة صالحة ومثالاً في الدعوة يحتذى به .

ط- استخدام المنهج العقلي كما حدث في لقاء أسيد بن خضير ، وسعد بن معاذ، واحترام عقل المخاطب بأسلوب لطيف .

ي- استخدام المنهج العقلي استخدم الحوار الهادئ المقنع (بريغش ، ١٤١٠هـ ، ص١٨٩).

ك- استثارة العاطفة وجلي ما تراكم على الفطرة من إدران الشرك .

ويذكر الباحث هنا أسلوب مصعب بن عمير رضي الله عنه في الدعوة إلى الله من خلال ما أورده (ابن هشام ، ١٤١٦هـ) في السير النبوية حيث قال : أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر على بئر يقال له بئر مرق فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجالاً ممن أسلم وسعد بن معاذ ، وأسيد بن الخضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبدالأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن خضير : لا أبا لك، إنطلق إلى هذين الرجلين اللذين أتيا دارينا ليسفها ضعفائنا ، فازجرهما وانههما ، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث (ما) قد علمت كفيتك ذلك ، وهو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً ، قال : فأخذ أسيد بن خضير حربته ثم اقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير : هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ؛ قال مصعب : إن يجلس أكلمه . قال : فوقف عليهما متشمتاً ، فقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفائنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ؛ فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ قال : أنصفت ، ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ؛ فقالا : فيما يذكر عنهما : والله عرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله ، ثم قال: ما أحسن هذا (الكلام) وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ، فقام فاغتسل وطهر ثوبه ، وشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد في قومه ، وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به

من عندكم ، فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهمت بأساً ، وقد نهيتهما ، فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثه خرجوا إلى أسعد ليقتلوه ، وذلك أنهم (قد) عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك قال : فقام سعد مغضباً مبادراً ، تخوفاً للذي ذكر (له) من بني حارثة ، فأخذ الحربة من يده ، ثم قال والله ما أراك قد أغنيت شيئاً ، ثم خرج إليهما ؛ فلما رآهما سعد مطمئنين ، عرف سعد أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشمتاً ، ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة ، (أما والله) لولا مابيني وبينك من قرابة ما رمت هذا مني ، أتغشانا في دارنا بما نكره ؟ - وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير : أي مصعب ، جاءك والله سيد من وراءه من قومه ، إن يتبعك لا يختلف عنك منهم اثنان — قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت ، ثم ركز الحربة وسلم ، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن . قالا : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، لإشراقه وتسهله ؛ ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قال : فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فأقبل عائدا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير .

قال : فلما رآه قومه مقبلا قالوا : نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يابني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا (وأوصلنا) وأفضلنا رأيا ، وأيمننا نقيبة ، قال فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قالا : فوالله ما أمسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة ، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون (ابن هشام ،١٤١٦هـ ، ج ، صـ٤٥ — ٤٦).

٥/١- نتائج دعوة مصعب بن عمير :

أ- تهيئة بيئة مناسبة للدعوه إلى الله سبحانه وتعالى

تمكن مصعب بن عمير رضي الله عنه من خلال اسلوبه الدعوي وتعامله التربوي من تهيئة البيئة المناسبة للدعوة إلى الله وإيجاد المكان الملائم لنشر الدين والتعليم وهذا ماساعد على الهجرة إلى المدينة بعد ان أصبحت مكانا مناسبا لاجتماع المسلمين .

ب- تهيئة قاعدة صلبة تتحمل اعباء الدعوة ، والدفاع عنها بالنفس والمال وقد ظهر ذلك بعد عودة مصعب بن عمير في موسم الحج لبيعة العقبة الثانية، كما ورد في حديث كعب بن مالك عندما اجتمعوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله : ابايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نسائكم وابناءكم " قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : نعم ، فوالذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا " (ابن كثير ، ١٤١٩هـ، ج٢ ، صـ٥٣٨) .

ج- اجتماع الأنصار أوسها وخزرجها بعدما كان بينهم من شقاق واختلاف ليكونوا جميعا يدا واحدة .

د- دخول مجموعة من فضلاء الصحابة الإسلام على يديه كأسيد بن الخضير وسعد بن معاذ اللذين كان لإسلامهما دورا بارزا وعظيما في إسلام بقية قومهما لما لهما من مكانة مرموقة وكلمة مسموعة .

هـ- نشر التعليم وقراءة القرآن بين مسلمي المدينة فكان بذلك نواة التعليم بها ، ومنطلقا لمن تعلم على يديه ليبث ذلك العلم الذي استقاه من مصعب الخير .

و- يعد كل من أسلم على يديه وأستمع من قراءة القرآن تلميذا من تلاميذ مدرسة مصعب بن عمير الدعوية الناجحة التي حولت المدينة إلى دار للهجرة، سعدت باحتضان خير البرية وهادي البشرية . وهنا لمحة تربويه هامه ووقفه تعلمية رائعه نستخلصها من اسلوب مصعب بن عمير رضي الله عنه في الدعوه والتعليم والتربيه فعلى المربي المسلم ان ينهل من ذلك المنهل العذب وان يستفاد من تلك الاساليب في تدريب المعلمين وخاصه الجدد

منهم او منهم في مراحل التدريب لاعطاء صوره عن المعلم والمربي المسلم كنموذج يحتذى وقدوه رائعه في مجال التربية والتعليم.

٢- البعثات التعليمية في عهد الخلفاء الراشدين

حرص الصحابة رضي عنهم على اقتفاء اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم والسير على منهجه والتأسي بسنته ، ومن ذلك حرصهم على نشر العلم وتعليمه ولقد تفرق الكثير من الصحابة رضي الله عنهم في البلدان التي تم فتحها ، ودخول اهلها في الإسلام ، فمنهم من رحل إلى الشام ومنهم من اتجه إلى مصر ومنهم من استقر به القرار في الكوفة او البصرة ، وبعضهم تم توجيهه من قبل امير المؤمنين إلى بلد بعينه ، وبعضهم حول وجهته امير المؤمنين لحاجة ملحة او لهدف خاص .

عبدالله بن مسعود رضي الله عنه :

١/٢ اسمه ونسبه وكنيته :

عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة ابن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركه واسم مدركه عمرو ابن الياس بن مضر (ابن سعد ، د.ت ، ج٣ ، صـ١٥٠) . وكان ابوه مسعود بن غافل حالف في الجاهلية عبدالله بن الحارث بن زهرة وام عبدالله بن مسعود ام عبد بنت عبد ود بن سواء بن قريم بن صاهلة من بني هذيل ايضا . (ابن عبدالبر ، ١٤١٥ هـ ، ج٣ . صـ١١١).

٢/٢ قصة اسلامه :

"اسلم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قديما ، وكان سبب إسلامه انه كان يرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واخذ شاة حائلا من تلك الغنم فدرت عليه لبنا غزيرا " (ابن عبدالبر ، ١٤١٥هـ ، ج٣ ، صـ١١١) . فعن زر بن حبيش ، عن عبدالله بن مسعود ، قال : كنت غلاما يافعا ارعى غنما لعقبة بن أبي معيط ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وقد نفرا من المشركين ، فقالا : ياغلام هل عندك من لبن تسقينا ؟ فقلت : إني مؤتمن ولست ساقيكما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل عندك من جذعة لم ينز عليها

الفحل ؟ قلت : نعم ، فأتيتهما بها فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسح الضرع ودعا فحفل الضرع ، ثم أتاه أبوبكر بصخرة متقعرة فاحتلب فيها فشرب أبو بكر ثم شربت ثم قال للضرع : اقلص ، فقلص ، قال : فأتيته بعد ذلك فقلت : علمني من هذا القول ، قال : إنك غلام معلم فأخذت من فيه سبعين سورة لاينازعني فيها أحد " (ابن الجوزي ، ١٤١١هـ ، ج١ ، ص١٦٥) .

٣/٢ بعثته إلى الكوفه :

تفرق الصحابة رضي الله عنهم في البلاد التي شملتها الفتوح الإسلامية فمنهم من نزل البصرة ، ومنهم من نزل الشام ، ومنهم من نزل مصر ، ومنهم من بقي بالمدينة ، وكان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه من كبار الصحابة الذين كان مهاجرهم إلى حمص يقول (ابن سعد ، د.ت) :" عن وهب بن داود عن عامر أن مهاجر عبدالله بن مسعود كان بحمص فحدره عمر إلى الكوفة وكتب إليهم " (ج٦ ، ص٦) وقد ذكر (الذهبي ، د.ت) نص الكتاب الذي ارسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما بعث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه إلى الكوفة فقال : " الثوري عن ابي إسحاق عن حارثة بن مضرب قال : قرئ علينا كتاب عمر اني قد بعثت إليكم عمار بن ياسرا اميرا وعبدالله بن مسعود معلما ووزيرا ، وهما من النجباء من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أهل بدر فاقتدوا بهما واسمعوا ، وقد اثرتكم بعبدالله بن مسعود على نفسي " (ج١ ، ص١٤) .

٤/٢ منهج عبدالله بن مسعود وأسلوبه في التعليم :

لقد تعددت مهام عبدالله بن مسعود في الكوفة ومن تلك المهام انه " قائم على بيت مال المسلمين في ذلك المصر ، وقبل ذلك هو معلم يقرئ الناس القرآن ، وينشر بينهم حديث رسول الله ، صلى لله عليه وسلم ، ثم هو بعد ذلك يتحمل تبعة تفقيههم بفرائض الإسلام وبيان الحلال والحرام ، كما انه سوف تعرض عليه المشكلات التي لابد من القول فيها بما يوافق الشرع " (الشيخ ، ١٤١٥هـ ، ص٢٠٨). ورغم تلك المهام المتعددة إلا أن ابن مسعود رضي الله عنه قام بتلك الأعباء خير قيام وعرف ابن الخطاب فيه قدرته الفائقة وعلمه الجم ، فكان الاختيار موفقا ،

وكان المبعوث بحق خير من يمثل دور المربي الفاضل والعالم الجليل ، والصحابي الفاضل ، ويحاول الباحث هنا أن يستنبط بعضا من منهجه وأسلوب عبدالله بن مسعود في التعليم .

أ- الرفق واللين بالمتعلمين :

اخذ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه الرفق بالمتعلمين ولين الجانب له منهجا، فجعل ذلك من طلابه أكثر تعلقا به ومحبة له ، لما راوه منه من حسن الخلق ولين الجانب ، وهو المتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، في ذلك ، والأكثر اقتداء بخلقه ، " فعن عبدالله بن عمير قال : أخبرنا الأعمش عن حبة بن جوين قال : كنا عند علي فذكرنا بعض قول عبدالله وأثنى القوم عليه فقالوا: يا امير المؤمنين مارأينا رجلا كان أحسن خلقا ولا أرفق تعليما ولا أحسن مجالسة ولا أشد ورعا من عبدالله بنت مسعود ، فقال علي : نشدتكم الله ، إنه لصدق من قلوبكم ؟ قالوا : نعم فقال : اللهم إني أشهدك ، أني اقول فيه مثل ماقالوا وأفضل " (ابن سعد ، د ت ، ج٣ ، صـ ١٥٦). وقد ظهرت نتائج هذا الأسلوب في محبة طلبته ، وكذلك في شهادة أصحابه له عند امير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فشهد له بما شهد به أصحابه ، بعد أن أشهد الله على صدق قولهم .

ب- تحديد مواعيد الدرس :

جعل عبدالله بن مسعود يوم الخميس من كل اسبوع يوما للدرس يقدم فيه درسا جامعا ، حتى لايمل الناس من تكراره يوميا :" فعن علقمة بن قيس أن عبدالله بن مسعود كان يقوم قائما كل عشية خميس فما سمعته عشية منها يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة واحده ، قال : فنظرت إليه وهو معتمد على عصا فنظرت العصا تزعزع " (ابن سعد ، د ت ، ج٣ ، صـ١٥٦) .

ج- البعد عن الإطالة المملة :

اتخذ بن مسعود منهجا جيدا ينم عن عقلية متمكنة عارفة بصفاء القلوب وكدرها ، مدركة لأهمية حضور الذهن وغيابه ، لذلك فقد استخدم رضي الله عنه أسلوبا آخر غير البعد بين مواعيد الدرس ، هذا الأسلوب يعتمد على تقديم ما يمكن أن يستوعبه المتعلم وهو حاضر الذهن ، متقد العزيمة ، بل إنه ليسكت وينهي الدرس

وطالبة في حاجة إلى زيادة ، إبعادا للملل والسآمه عن المتعلم ." عن جامع بن شداد ، قال : اخبرنا عبدالله بن مرداس قال : كان عبدالله يخطبنا كل خميس فيتكلم بكلمات فيسكت حين يسكت ونحن نشتهي أن يزيدنا " (ابن سعد ، د.ت ، ج٣ ، صـ١٥٧) . هذا كان في جانب التعليم العام ولكنه كان له طلبة علم لزموه مدة طويلة وكان يحبون أن يكون ذلك الدرس يوميا ، " فعن منصور بن ابي وائل قال : كان عبدالله يذكر الناس كل يوم خميس فقال له رجل : يا ابا عبدالرحمن لو وددت انك ذكرتنا كل يوم ! قال : اما إنه ، يمنعني من ذلك إني اكره أن املكم ، وإني اتخولكم بالموعظة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا " (البخاري ، ١٤١٧هـ ، كتاب العلم ، باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة ، ص٢٠ ، حديث رقم ٧٠) .

د- الاعتماد على القرآن :

استخدم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه منهجا اعتمد على القرآن الكريم فيه شأنه في ذلك شأن كثير من صحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الذين اعتمدو على القرآن في التعليم كمعاذ بن جبل ومصعب بن عمير وغيرهم من الصحابة ، ولفت نظرهم إلى أهمية المداومة على قراءة القرآن واستذكاره وإبقاء الأيات حاضرة في القلب والذهن لاستدعاء الشاهد منها ، وهذا مايرويه أبو وائل عن عبدالله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم " بئسما ما لاحدهم أن يقول : نسيت آية كيت وكيت ، بل هو نسي " (مسلم ، ١٤١٦هـ ، كتاب صلاة المسافر ، باب فضائل القرآن ، ج١ ، صـ٤٥٤ ، حديث رقم ٧٩٠) . ومع اعتماده على القرآن إلا أنه " كان يحملهم على أن يقفوا عند تحذيراته ، ويحركوا القلوب بكلماته ويتفاعلو مع إنذاراته ويطوعوا لها النفوس ، ويمثلوا عند أحكامه .."(الشيخ ، ١٤١٠هـ ، صـ٢١٢) . فعن المسيب بن رافع ، عن عبدالله بن مسعود ، قال : ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، ونهاره إذا الناس مفطرون ، وبحزنه إذا الناس فرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخلطون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيا محزونا ، حكيما عليما سكينا ،

وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون جافيا ، ولا غافلا ، ولا صخابا ولا صياحا ، ولا حديدا " (أبو نعيم ، ١٤١٨هـ ، ج١ ، صـ١٧٨) .

هـ- مناقشة طلبته والاستماع إليهم :

لم يكتف عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بتعليمهم القرآن ، والأخذ عنه القراءة والترتيل ولم يقف عند حد لفت أنظارهم إلى تدبر الآيات ، ومعرفة الأحكام ، ومعرفة ماينبغي أن يكون عليه حامل القرآن ، بل إنه اعتمد على الاستماع منهم ، ليعلم مدى اتقانهم لما تعلموه ، وجودة حفظهم وحسن الأخذ عنه . " فعن أبي حيان الأشجعي عن عبدالله بن مسعود قال : قال لي : اقرأ علي من القرآن ، قال : فقلت له : أليس منك تعلمته وأنت تقرئنا ؟ فقال : إني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : اقرأ علي من القرآن ، قال : فقلت : يارسول الله أليس عليك أنزل ، ومنك تعلمناه ؟! قال :" بلى ، ولكن احب أن اسمعه من غيري (مسلم ، ١٤١٦هـ ، كتاب صلاة المسافرين، باب فضائل القرآن ، ج١ ، صـ٤٦١، حديث رقم ٨٠٠) .

٥/٢ تلاميذ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه :

استقر عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وقتا طويلا في الكوفة ، فنشر فيها علما جما ، وكثر عدد طلابه ومريديه ، فأخذو عنه من العلم الشئ الكثير ، وحمل هؤلاء ذلك العلم ونشروه ، وقد أورد ابن سعد في الطبقات الكبرى في أسماء الذين رووا عنه وقد قسمهم إلى طبقات منهم من روى عنه ، وعن أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب وعددهم عشرة ، ومنهم من روى عنه وعن عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب وعددهم ستة عشر ، ومنهم من روى عنه وعن عمر بن الخطاب وعددهم اثنا عشر ، ومنهم من روى عنه وعن علي بن أبي طالب وعددهم خمس وثلاثون ، ومنهم من روى عنه واحد وسبعون . (ابن سعد ، د.ت ، ج٦، صـ٤٢٢ ، ٤٢٧) . ومع هذا العدد والوفير من الطلاب الذين تلقوا العلم على يديه أو سمعوه منه ، أو نقلوا عنه الرواية ، نجد ابن القيم رحمه الله يقدم شهادة بفضل ابن مسعود ودوره الريادي في نشر العلم يقول رحمه الله " والدين والفقه والعلم انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود ، وأصحاب زيد بن ثابت ، وأصحاب عبدالله بن عمر، وأصحاب عبدالله بن عباس ، فعلم الناس عامة عن أصحاب هؤلاء الأربعة " (ابن

القيم ، ١٣٩٧هـ ، ج١، صـ ٢١) . وكان منهم أصحاب قراءة وفتوى فعن : سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال : كان أصحاب عبدالله الذين يقرؤون ويفتون ستة : علقمة ومسروق وعبيد والحارث بن قيس وعمرو بن شرحبيل " (ابن سعد ، د.ت، ج٦ ، صـ١٠) . ويؤكد (ابن القيم،١٣٩٧) على دوره الريادي في موضوع آخر فنجده يقول:"وأما أهل العراق فعلمهم عن أصحاب عبد الله ابن مسعود " (ج١ ص٢١) ، وهذا يبين لنا مدى ما قدمه رضي الله عنه من علم عظيم لأهل هذا القطر من العالم الإسلامي لدرجة إن نسب ابن القيم غالب علم أهل هذا البلد لابن مسعود ، كما يوكد على كثرة طلبته ونبوغهم مما نقل عنه هذا العلم . وقد روى عنه من أصحاب عمران بن الحصين ، وجابر وانس وأبو إمامه (الخطيب البغدادي، ١٤١٧هـ، ج١،٤٦١ص).

٦/٢ وفاة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:

توفى عبدالله بن مسعود الصحابي الجليل رضي الله عنه بعد إن ملأ الكوفة علما وفقها في المدينة في خلافة عثمان بن العفان رضي الله عنه " سنة اثنين وثلاثين ودفن بالبقيع وصلى عليه عثمان بن عفان ، وقيل صلى عليه الزبير ، ودفنه ليلا بإيضائه بذلك إليه ولم يعلم عثمان بدفنه فعاتب الزبير على ذلك، وكان يوم توفي ابن بضع وستين سنه " (ابن عبد البر ،١٤١٥هـ، ج٣،ص١١٥).

نتائج الدراسة

١- ان البعثات التعلمية تمتد جذورها في التاريخ التربوي الاسلامي الى عهد رسول الله صلى الله علية وسلم وصحابته رضوان الله عليهم.

٢- ان دار الارقم بن ابي الارقم كانت بمثابة الاكاديمية التي تقوم باعداد وتهيئة المبتعثين لنشر رسالة الاسلام وتعاليمه والدعوة اليه .

٣- ان رسول الله صلى الله علية وسلم اشرف بنفسه على اختيار المبعوثين للتربية والتعليم والدعوة وارسالهم الى اماكن الاحتياج .

٤- ان رسول الله صلى الله علية وسلم استقبل بنفسه البعثات التعلمية القادمة الى المدينة والباحثه عن العلم وقام بنفسه بتعليمهم وتوجيههم ،واعادتهم

الى ذويهم حملة علم ومعرفة بعد اطمئنانه على ما تحصلوا عليه من علوم ومعارف.

٥- ان رسول الله صلى الله علية وسلم وصحابته رضوان الله عليهم كانت لهم منهجية واضحة المعالم في اختيار المبتعث لحمل رسالة العلم والدعوة الى الله .

٦- ان البعثات التعليمية في عهد رسول الله صلى الله علية وسلم اتخذت اشكالاً متعددة منها الفردية والجماعية ومنها القادمة الى المدينة والمغادرة منها .

٧- ان البعثات التعلمية في عهد رسول الله صلى الله علية وسلم كانت لها اهداف عظيمة وغايات نبيلة تركزت في نشر رسالة الإسلام والدعوة إليه ونشر العلم والمعرفة وتمثيل الإسلام واقعاً حياً في سلوك المبتعث ، وتقديم التصور الصحيح عن الإسلام ورسالته في حياة الإنسان .

٨- إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام كانت لهم أساليب توجيه عظيمة في الابتعاث تساعدالمبتعث بعون الله تعالى على النجاح في مهمته ، وتزوده بأليات وأساليب العمل الدعوي والممارسة التربوية الناجحة.

٩- إن أساليب رسول الله صلى الله علية وسلم وصحابته الكرام في إختيار كفاءة المبتعث والتأكد من سلامة منهجه يمكن الإستفادة منها في عصرنا الحاضر .

١٠- إن على الجهات القائمة على الإبتعاث في وزارات التربية والتعليم على وجه الخصوص والوزارات والإدارات الأخرى المعنية بأمر إبتعاث منسوبيها ان تستفيد من منهج رسول الله صلى الله علية وسلم وذلك لتحصين الشباب الإسلامي وتزويده بما يحتاج إليه من مبادئ العقيدة والثقافة الإسلامية التي ترسخ الإيمان وتعطي الفهم الصحيح والتصور السليم للإسلام

١١- ان يعطى المبتعث التحصينات الثقافية لما سيواجة من تيارات فكرية مضادة وما سيقابلة من اطروحات تهاجم الاسلام وتلصق به العديد من

التهم الباطلة ،ليتمكن من المحافظة على عقيدته ويدافع عن الاسلام بفهم عميق وتصور واضح. ويعطي الصورة المشرقة عن الاسلام والمسلمين.

١٢- أن تلك البعثات المختلفة في عهد رسول الله صلى الله علية وسلم او عهد صحابته الى جهات مختلفة واقطار متعددة حملت فكرا رائدا وعلما غزيرا ومناهج تعليم استقت اسسها من خير البشرية وكان لهذا التنوع والتعدد في المبتعثين دورا هاما في ظهور المدارس الفقهية ومدارس النحو وغيرها.

المصادر والمراجع

١- القران الكريم

٢- ابن الأثير ،علي بن محمد .أسد الغابة في معرفة الصحابة . بيروت :دار الفكر ، ١٤٠٩هـ.

٣- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي . صفوة الصفوة.القاهرة : دار الصفا،١٤١١هـ.

٤- ابن القيم ،محمد بن أبي بكر . أعلام الموقعين عن رب العالمين .بيروت : دار الفكر، ط٢ ، ١٣٩٧هـ.

٥- ابن حجر ، أحمد بن علي . الإصابة في تمييز الصحابة .القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ،١٣٩٩هـ.

٦- ابن سعد ،محمد .الطبقات الكبرى .بيروت :دارصادر، د.ت.

٧- ابن عبدالرب ،يوسف بن عبدالله .الاستيعاب في معرفة الأصحاب . تحقيق معوض علي محمد وعبدالموجود عادل أحمد، بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٨- ابن كثير ، إسماعيل . البداية والنهاية .تحقيق العطار صدقي جميل ، بيروت : دار الفكر ، ط٣، ١٤١٩هـ .

٩- ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، (د.ت) .

١٠- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين . لسان العرب . بيروت : دار صادر ، ط٦، ١٤١٧هـ .

١١- ابن هشام ، عبدالملك . السيرة النبوية . تحقيق ثابت جمال وآخران،القاهرة : دار الحديث ،١٤١٦هـ .

١٢- أبو داود، سليمان بن الأشعث . سنن أبي داود. بيروت : دار إحياء التراث العربي، د.ت .

١٣- أبو نعيم ، أحمد بن عبدالله .حلية الأولياء وطبقات الأصفياء .تحقيق عطا عبدالقادر ، بيروت : دار الكتب العلمية ،١٤١٨هـ .

١٤- البخاري ، محمد بن اسماعيل . صحيح البخاري . الرياض : دار السلام، ١٤١٧هـ .

١٥- البر، عبدالرحمن مناهج وآداب الصحابة في التعلم والتعليم . مصر : دار اليقين، ١٤٢٠هـ.

١٦- الخزاعي،علي بن محمد تخريج الدلالات السمعية . تحقيق عباس إحسان ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ،ط٩، ١٤١٩ هـ .

١٧- الخطيب البغدادي ،أحمد بن علي تاريخ بغداد . تحقيق عطا مصطفى عبد القادر ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط٧، ١٤١٧هـ .

١٨- الذهبي ، محمد بن أحمد . تذكرة الحفاظ . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت .

١٩- الرازي ، محمد بن أبي بكر . مختار الصحاح . القاهرة : دار الحديث ، د.ط .د. ت .

٢٠- الشيخ : عبد الستار. عبدالله بن مسعود عميد حملة القرآن وكبير فقهاء الإسلام . دمشق : دار القلم ، ط١٤١٥،٢هـ .

٢١- الهاشمي . عبد الحميد . الرسول العربي المربي . الرياض : دار الهدى، ط٢ ، ١٤٠٥ هـ .

٢٢- بريغش ، محمد حسن . مصعب بن عمير الداعية المجاهد . دمشق : دار القلم ،ط٥ ،١٤١٠هـ .

٢٣- عبيدات ، ذوقان . البحث العلمي مفهومه ادواتة اساليبه دار اسامه للنشر: الرياض ، د.ت ، ١٤١٦

٢٤- مجمع اللغة العربية .المعجم الوسيط . إبراهيم مصطفى وآخرون ، المكتبة الإسلامية ، إستانبول، د.ت

٢٥- مسلم ، بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، بيروت:دار ابن حزم، ١٤١٦هـ .